المحاضرة الثالثة: مصطلح الأدب

مصطلح الأدب في التراث النقدي القديم

في كتب الجاحظ ورسائله إشارات إلى لفظة الأدب ومن ذلك:"اطلب الأدب فإنه دليل على المروءة، وزيادة في العقل، وصاحب في الغربة وصلة في المجلس"[1]. وذكر بعض أهل الأدب وكأنه يريد بهم أهل الفهم والمعرفة: "ومن أهل الأدب: زكرياء بن درهم، مولى بني سليم بن منصور،...ومن أهل الأدب ممن وجهه هشام إلى .."[2]، وذكر الأدب بما يقرب من معناه المعروف فقال وهو يتحدث عن الحوليات: "ومن شعراء العرب من كان يترك القصيدة تمكث عنده حولا كريتا* وزمنا طويلا، يردد فيها نظره ويجيل فيها عقله، ويقلب فيها رأيه اتهاما لعقله وتتبعا على نفسه، فيجعل عقله زماما على رأيه، ورأيه عيارا على شعره، إشفاقا على أدبه، وإحرازا لما خوله الله تعالى من نعمته"[3]. وقال: "إنما عاب النبي (ص)المتشادقين والثرثارين ..والأعرابي المتشادق، وهو الذي يصنع بفكيْه و بشدقيه ما لا يستجيزه أهل الأدب من خطباء أهل المدر.."[4]

وذكر ما كان يقوم به المؤدبون ، قال عتبة ابن أبي سفيان لعبد الصمد مؤدب ولده: "ليكن أول ما تبدأ به من إصلاحك بنيَّ إصلاحك نفسك، فإن أعينهم معقودة بعينيك، فالحسن عندهم ما استحسنت، والقبيح عندهم ما استقبحت، عِّلمهم كتاب الله ولا تكرههم عليه فيملوه، ولا تتركهم منه فيهجروه، ثم روِّهم من الشعر أعفّه، ومن الحديث أشرفه، ولا تخرجهم من علم إلى غيره حتى يُحكموه، فإن ازدحام الكلام في السمع مضلة للفهم، وعلِّمهم سير الحكماء وأخلاق الأدباء"[5].

والمؤدب عند الجاحظ مشتق من الأدب[6]، وعلوم الأدب هي ما أشار إليه عتبة بن أبي سفيان، والأدب هو الثقافة "وإنما الأدب عقل غيرك تزيده في عقلك"[7].

---

[1]– الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص352.

[2] –الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر): البيان والتبيين، ج1، ص389–390.

*– حول كريت: كامل تام.

[3] –نفسه، ج2، ص9.

[4] – المصدر نفسه، ج1.ص271

[5]– الجاحظ: البيان والتبيين، ج2، ص73.

[6] –رسائل الجاحظ: رسالة المعلمين، ج3، ص34.

[7]– رسائل الجاحظ: المعاش والمعاد، ج1، ص96.

وهو الخُلُق "والأدب إما خلق، وإما رواية، وقد أطلقوا له اسم المؤدِّب على العموم"[1].

والأدب عند المبرد يتمثل في قوله في مقدمة كتابه الكامل:"هذا كتاب ألفناه يجمع ضروبا من الآداب، ما بين كلام منثور، وشعر مرصوف، ومثل سائر، وموعظة بالغة، واختيار من خطبة شريفة ورسالة بليغة"[2]. إذن فالأدب عنده يتمثل في الكلام المنثور والشعر المرصوف والمثل السائر والموعظة والخطبة والرسالة، وهذا ما قصد إليه العسكري في كتابه (المصون في الأدب) إذ تحدث فيه عن الشعر والنثر والنقد وضمنه موازنات بين الشعراء، وذكر أحسن ما قيل في الأوصاف والتشبيهات وأمثلة من الكتب والجوابات والخطابات وكلام الأعراب والفصحاء والتوقيعات.

والأدب عند الثعالبي أصناف كثيرة كما يقول:"أما بعد فإن محاسن أصناف الأدب كثيرة، ونكتها قليلة، وأنوار* الأقاويل موجودة، وثمارها عزيزة، وأجسام النثر والنظم جمة، وأرواحهما نزرة، وقشورهما معرضة، ولبوبهما معوزة، ولما كان الشعر عمدة الأدب وعلم العرب الذي اختصت به... وعمدتها الشعر..." [3].

وحدث توسع في فهم الأدب فإذا به الضرب على العود ولعب الشطرنج، ولعب الصوالج والطب والهندسة والفروسية والشعر والنسب وأيام الناس، ومقطعات الحديث والسمر وما يتلقاه الناس بينهم في المجالس[4]. وانعكس هذا الاتساع على الدراسات فسمى **ابن الأنباري** أحد كتبه (نزهة الألباء في طبقات الأدباء) وعلوم الأدب عنده ثمانية هي: اللغة، والنحو، والتصريف، والعروض، والقوافي، وصنعة الشعر، وأخبار العرب، وأنسابهم وأضاف إليها علمين هما: علم الجدل في النحو، وعلم أصول النحو[5].

وسمى ياقوت الحموي أحد كتبه (معجم الأدباء) ولا يَخُص هذا الكتاب الأدب وحده، وهو قريب من كتاب ابن الأنباري.

---

[1]– رسائل الجاحظ: رسالة المعلمين، ج3، ص34.

[2]– المبرد: (أبو العباس محمد بن يزيد) الكامل في اللغة والأدب، تح: يحي مراد مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، طبعة مزيدة ومنقحة، القاهرة مصر، 1434– 2013 ، ص51.

* –الأنوار جمع نور بفتح النون وسكون الواو وهو الزهر والأبيض منه خاصة. عزيزة= نادرة قليلة الوجود. جمة= كثيرة. نزرة=قليلة. معرضة=ظاهرة. اللبوب =جمع اللب وهو من النخل واللوز والجوز ونحوهما وما في جوفها.

[3] – الثعالبي (أبو منصور عبد الملك): يتيمة الدهر، في محاسن أهل العصر،ج1، شرح و تح: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص25

[4] – زهرة الآداب، ج1، ص164.

[5]– ابن الأنباري: نزهة الألباء ، ص60. وينظر: الأشباه والنظائر في النحو، ج1، ص 6.

واتجه السكاكي هذا الاتجاه في فهم الأدب قال: "وقد ضمنت كتابي هذا من أنواع الأدب دون نوع اللغة ما رأيته لا بد منه، وهي عدّة أنواع متآخذة"[1]وذكر علم الصرف وعلم النحو وعلم المعاني وعلم البيان وعلم الحد والاستدلال وعلم العروض وعلم القوافي.

وتبعه **بدر الدين ابن مالك** في هذا الاتجاه وعرّف الأدب بقوله: " فإن علم الأدب وهو ما يحترز به على جميع وجوه الخطأ في العربية..."[2]

ونحا **القلقشندي** هذا النحو وذهب إلى أن علوم الأدب عشرة هي: علم اللغة وعلم التصريف وعلم النحو وعلم المعاني وعلم البيان وعلم البديع وعلم العروض وعلم القوافي وعلم قوانين الخط وقوانين القراءة"[3].

وتوسع **النويري** في كتابه (نهاية الأرب في فنون الأدب) وأدخل في فنون الأدب كل العلوم المعروفة في عهده وهذا توسع كبير.

وعلم الأدب عند **ابن خلدون:** "لا موضوع له،ينظر في إثبات عوارضه، أو نفيها، وإنما المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته وهي الإجادة في فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم"[4]. فيجمعون لذلك الشعر العالي الطبقة ، والسجع ومسائل من اللغة والنحو، وبعض أيام العرب، والأنساب الشهيرة والأخبار العامة...

والأدب عند أبي البقاء الكفوي (1094هـ-1683):"كل رياضة محمودة يتخرّج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل فإنها يقع عليها الأدب"[5]. وهو كذلك: "علم يحترز به من الخلل في كلام العرب لفظا وكتابة، أصوله: اللغة، والصرف، والاشتقاق، والنحو، والمعاني، والبيان، والعروض، والقافية. وفروعه: الخط، وقرض الشعر، والإنشاء، والمحاضرات ومنها التاريخ، والبديع ذيل للمعاني والبيان"[6].

---

[1]- السكاكي (أبو يعقوب يوسف): مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور ، دار الكتب تالعلمية، بيروت، لبنان ، ص6

[2] -ابن مالك (بدر الدين) المصباح في المعاني والبيان والبديع، ص 1-2.

[3]- القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج1، ص468.

[4]- ابن خلدون (عبد الرحمان بن محمد) المقدمة، ص553.

[5]- أبو البقاء (أيوب بن موسى الحسيني الكفوي): الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، تح: عدنان درويش ومحمد المصرس، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ- 1998، ص 65.

[6]- المصدر نفسه، ص68.